

وأبسط قواعد الإنسانية بأن تزيل بقوتها وجبروتها أهل فلسطين من فلسطين وأن تقتلعهم اقتلاعاً لتسكنها اليهود على ظن منها العالم سيكتسون عدتها على الأمة العربية» (١).

ووجد أن بريطانيا تعمل بخطى سريعة على تهويد البلاد كي تضمن « جعل البلاد الفلسطينية في حالات اقتصادية واجتماعية لتسهيل بناء الوطن القومي فيها لليهود » ، وهددت الاساليب التي تتبع لادخال اليهود وطرد العرب « للتجويل في جعل فلسطين يهودية لحبا ودما » ، بل أن الحكم البريطاني « قد أشغلنا عن العمل لوطننا ولانسنا وجعلنا ننهبك في الاشتغال بمقاومته وبالذفان عن حياتنا» (٧). فأهل فلسطين منذ ١٩١٧ الى عام ١٩٢٢ « لم يطلبوا شيئاً فاجيبوا اليه وما شكوا من نكبة غنخت عنهم ، بل أن جميع مطالبهم قد ضرب بها الاحتلال عرض الافق ان لم أقل كعب الحذاء» (٨). وفي حين دعمت الشركات اليهودية، ووضعت رسوماً جبركية عالية لحماية المصنوعات اليهودية ، وتولت اقامة المعارض الصهيونية ، وحولت الطرق عن القرى العربية لتبر في وسط القرى والمزارع اليهودية. فبريطانيا هي التي تخلق الاسباب لاثارة الفلسطينيين حتى اذا رفعوا رؤوسهم بالشكوى عملت على ضربهم بالنار والحديد ، « والثورة التي قامت هي ثورة وطنية كان الباعث عليها حب البقاء من ناحية وحب السيطرة والفطرسة واذلال الأمة العربية من الناحية الاخرى » ، وليس على أهل فلسطين الا ان يتخلصوا من الانتداب لينجوا منه ومن الصهيونية ايضاً « لان الصهيونية ملحقة بالانتداب وهو الذي جاء بها» (٩).

ما هو مؤسف حقاً ان عملية سلب حقوق أهل فلسطين لا يزال مستمراً والصهيونية تتقوى يوماً بعد يوم « والزمن هو عدو فلسطين فكلمنا توالت الايام ضغفوا وازدادت قوة الصهيونية بل ان عدد أهل فلسطين هو انفسهم ما داموا يسكتون على ضياع حقوقهم ويشغولون في النهش ببعضهم » .

وقد صور له الوضع تصويراً حقيقياً ، موظف عربي في الحكومة قال له « .. نحن العرب نسي حكومة فلسطين مثل الميزان فان كانت الامة متحدة شعرنا بالعزة أمام الانجليز وصاروا يحترمونا

ثورة فلسطين المشهورة ، فاذا بجريدة (السياسة) تنف ضدها ، ويكتب حسين هيكل (رغم ان العلاقة بينهما كانت مستمرة) مقالا افتتاحياً يهدده فيه ويهدد زملاءه الذين يقومون معه بنشر مظلمة فلسطين بالطرد من مصر بحجة انهم غرباء يقومون « بتبهييج الرأي العام على مواطنيه اليهود المصريين» (٤).

وظل الظاهر يعيش في مصر مدة ثلاثين عاماً بدون جنسية لان الانجليز قد ارادوا ذلك تاديباً له على عدم الاعتراف بشرعية استعمارهم ومحاربة فظائعهم « ليسهل عليهم مطاردته واخراجه من مصر أيام السلم ويحتمهم من حبسه ان وقعت الحرب ، طول مدة الحرب » حتى لقب (بالعربي الثالثه) (٥).

واعتمدت الحركة الوطنية في فلسطين على الظاهر وهو في مصر ، بتسهيل امر الدخول والتعريف بالثورات وخاصة مشكلة البراق ، كما ساهم بالاعداد للمؤتمر الاسلامي ١٩٣١ - ١٩٢٢ ، وكانت جريدته نصيراً ومرجعاً . وفي اول اغسطس ١٩٢١ حين « كانت حكومات الشرق هالجة على الجرائد هياجاً شديداً وبالاخص الحكومات الواثمة تحت الحكم الاجنبي » ففضل ان يوقف الشورى قبل ان تتعطل وذهب الى لبنان بطريق فلسطين في اغسطس ١٩٢١ .

وسجل بعد عودته مجموعة مذكرات هي عبارة عن خلاصة ملاحظاته وخواتمه وبعض مشاهداته وكتائمه ، وكان هدفه من كتاب «تفكرات الشورى» كما جاء في مقدمته « ان الناس الذين يأتون بعدنا قد يشوقهم ان يعرفوا صورة حقيقية عن جانب من حياة زماننا بما فيها من عوج او سخافات او شيء من فضائل الصفات » وجعل الكتاب دون تبويب او ترتيب لانه يظن « ان الناس قد سئوا الكتب المرتبة المنظمة فيجب ان يجربوا غير المرتبة وغير المنظمة » . وعلى حد قوله الكتاب « كشكول لحوادث ووقائع وملاحظات وخواطر » ..

بعد أن درس الحالة في فلسطين وجد « ان فلسطين لم تشعر بشيء غير طبيعي في حياتها الا بعد أن (شرفها) الانجليز بانتدابهم للسعيد ... فالصهيونية لولا انكترا لا تعد شيئاً يؤبه له ، ولكن بريطانيا تريد مخالفة النواميس الطبيعية